مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: عرض مقال (جغرافية القوة الصينية الى أي مدى يمكن ان تصل بكين براً وبحراً؟) للمؤلف روبرت كابلان
اسم الكاتب: سميرة ابراهيم عبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6941
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 12:06 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

(جغرافية القوة الصينية)
الى أي مدى يمكن ان تصل بكين براً وبحراً ؟*

روبرت كابلان

ترجمة
سميرة ابراهيم عبد الرحمن (**)

روبرت د .كابلان [١] هو كبير الباحثين في مركز الأم ن الأميركي الجديد (نيو اميركان سيكيورتي) ومراسل لمجلة " ذي اتلانتك". سيُنشر له في الخريف القادم [٢](٢٠١٠) كتاب "الرياح الموسِمّية:المحيط الهندي ومستقبل القوة الأميركية[٣].

ختم عالم الجغرافية الانكليزي السير هالفورد ماكيندر [٤] مقالته الشهيرة التي نشرها في العام ١٩٠٤ والموسومة "المحور الجغرافي للتاريخ "[٥] بإشارة الى الصين مقلقة . فبعدما شرح كيف ان

---

* المقال منشور في مجلة الفورين افيرز (Foreign Affairs) في عددها الصادر في أيار/حزيران ٢٠١٠ تحت عنوان:
The Geography of Chinese Power How Far Can Beijing Reach on Land and at Sea?

(**)مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

[١] روبرت د. كابلان: صحافي اميركي ولد في العام ١٩٥٢ في مدينة نيويورك، ودرس في جامعة كونيكتيكوت . علاوة على عمله كبير الباحثين في مركز الأمن الأميركي الجديد ومراسل لمجلة " ذي اتلانتك"، فانه يكتب في الكثير من الصحف ومن اهمها "واشنطن بوسطت" و"نيويورك تايمز" و"نيو ريببليك" و"ناشيونال انترست" و"وول ستريت جورنال". (المترجمة)

[٢] وقت نشر المقال في ايار /حزيران ٢٠١٠ أي قبل تاريخ إصدار الكتاب في خريف العام ٢٠١٠ . (المترجمة)

[٣] يسبر الكتاب الذي نشرته مجموعة "راندوم هاوس" للطباعة والنشر في خريف العام ٢٠١٠، اغوار منطقة المحيط الهندي التي تُعرف باسم "اسيا الرياح الموسمية"، ويبيّن كيف تكتسب تحولاتها الاستراتيجية اهمية كبيرة بالنسبة للقوة الاميركية. ويخلص الى استنتاج رئيس مؤداه ان القطب الجيوسياسي الأهم للقرن الحادي والعشرين هو المحيط الهندي وليس الاطلسي كما كان الحال سابقاً وان على اميركا ان توجه اهتمام سياساتها الخارجية نحو مج موعة القوى الدولية الصاعدة في المنطقة بقيادة الصين والهند. (المترجمة)

[٤] هالفورد جون ماكيندر جغرافي انكليزي ولدَ في ١٥ شباط/فبراير ١٨٦١ . بدأ حياته طالباً بقسم التاريخ الا انه كان يهوى الجغرافية، فتخصص في الدراسات الجغرافية . يرى ان التاريخ والجغرافية لا يمكن ان ينفصلا . وفي العام ١٨٨٧ ذاعت شهرة ماكيندر بعد ان ألقى محاضرة عن مجال الجغرافية وأساليبها. تولى وظيفة أول أستاذ للجغرافية في أكسفورد وهو في سن السادسة والعشرين. شغل منصب مدير المدرسة الاقتصادية في لندن ونائباً لرئيس الجمعية الجغرافية البريطانية . كما اشتغل في الحقل

اوراسيا كانت المرتكز الجيوستراتيجي للقوة العالمية افترض ان الصينيين اذا ما وسعوا قوتهم خارج حدودهم فانهم "سيشكلون الخطر الداهم على الحرية العالمية لأنهم سيضعون واجهة محيطية امام موارد القارة الكبيرة. وهي منفعة، كان الروس قد حرموا من ان يكون لهم منطقة ارتكاز". ولو وضعنا جانباً التعصب في طرح ماكيندر والذي كان سائداً في ذلك العهد، كذلك الهستيريا التي يقدح شرارتها صعود قوة غير غربية في أي وقت، فأنه ثمة نقطة لدى ماكيندر الا وهي ا نه لما كانت روسيا – عملاقٌ اوراسي آخر– وما تزا ل قوة برية ذات جبهة محيطية يحول دونها الجليد، فان الصين، وبفضل خط ساحلي معتدل طوله تسعة آلاف ميل مع الكثير من الموانئ الطبيعية الصالحة، تكون قوة برية وقوة بحرية . (تَخّوف ماكيندر فعلاً من ان الصين قد تحتل روسيا يوماً ما). إذ يمتد الوصول الفعلي للصين من اسيا الوسطى، مع كل ثروتها المعدنية والغنية بالطاقة، الى طرق الملاحة الرئيسة على المحيط الهندي . ولاحقاً، تنبأ ماكيندر في كتابه "المُثل الديمقراطية والحقيقة " بان الصين، جنباً الى جنب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، ستقود العالم اخيراً من خلال "بناء حضارة جديدة لربع البشرية؛ لا شرقية ولا غربية."

ومن الجلي جداً، ان الجغرافية المميزة للصين هي نقطة كثيراً ما يتم إغفالها في مناقشات الدينامية الاقتصادية للبلد والتوكيد على الذات الوطنية. مع ذلك، فانها شأن أساسي يعني ان الصين ستقع عند صرة الجيوبوليتكس حتى وان كان طريق البلد نحو القوة العالمية ليس بالضرورة طريقاً خطياً. (فقد بلغت نسب النمو في إجمالي الناتج المحلي للصين أكثر من ١٠% سنوياً على مدى السنوات الثلاثين المنصرمة؛ ولكن على الأغلب لا يمكن ان تدوم لثلاثين سنة أخرى .) لا مراء في ان الصين تجمع ما بين حداثة ذات اسلوب غربي و "حضارة هيدروليكية" (مصطلح صاغه المؤرخ كارل ويتفوجيل[٦] (Karl Wittfogel) ليصف المجتمعات التي تمارس سيطرة مركزية على الري .)

السياسي، واصبح عضواً في مجلس العموم البريطاني. نشر الكثير من الابحاث والمقالات في مجال الجغرافية السياسي ة. وحملت كتبه ومقالاته الكثير من الطروحات الاولى في علم الجيوبوليتكس . اثرت افكاره على الكثير من الكتاب والباحثين في مجال الجيوبولتكس بل واثرت على الاستراتيجية الالمانية في العام ١٩٤٠. توفي في ٦ اذار/مارس ١٩٤٧. (المترجمة)

[٥] طرح ماكيندر خلال المحاضرة التي القاها امام الجمعية الجغرافية الملكية بلندن تحت عنوان "المحور الجغرافي للتاريخ " نظرية قلب الارض Hard Land والتي تقوم على فرضية اساسية مفادها ان العالم ينقسم طبيعياً إلى عالمين متصارعين هما عالم البر وعالم البحر. وشدد في المحاضرة على اهمية نقطة الارتكاز. (المترجمة)

[٦] كارل ويتفوجيل: مؤرخ ماركسي أول من طرح فكرة (سلطة الماء) وكان ذلك بين العامين ١٩٤٠ و١٩٥٠ وقد أعد كارل نظرية تقول ان التحكم بمصادر المياه من قبل أباطرة الصين شكل وسيلة مهمة ان لم تكن وحيدة في إخضاع الشعب. وختم كارل نظريته بالقول ان المجتمعات المائية مصدر إلهام رئيسي للاشتراكية الحديثة، وهو إلهام يقوم على كلمتين اثنتين هما : حصر السلطة . (المترجمة)

ويُذّكر هذا بالشرق القديم : فبفضل السيطرة المركزية يمكن للنظام، على سبيل المثال، ا ن يُجند الملايين لبناء بنية تحتية كبرى. يجعل هذا من الصين ديناميكية بطرقٍ لا تستطيع الديمقراطيات أن تكون عليها، مع كل مسايرتها للظروف . وطالما ان حكام الصين شيوعيون بالاسم فحسب، فان سليلي ما يقرب من خمس وعشرين سلالة يرجعون الى أربعة الآف سنة، يتشّربون التكن ولوجية والممارسات الغربية، ثم يدمجونها في نظام حضاري منظم ومُحكم مع تجربة فريدة، من بين أشياء أخرى، في صياغة علاقات مع دول أخرى تتخذ صفة الإخضاع . وكما قال لي [٧] احد المسؤولين السنغافوريين أوائل هذا العام[٨] "ان الصينيين يبهجونك حينما يريدون إبهاجك ويرهقونك حينما يريدون إرهاقك، ويفعلون ذلك بشكل منظم تماماً".

لا جرم في القول ان الدينامكي ة الداخلية للصين تولد لديها طموحات خارجية . فالإمبراطوريات نادراً ما تنهض بوضع تصميم لها . بل تنمو نمواً عضوياً [٩]. فكلما تصبح الدول أقوى، كلما تنامت لديها حاجات جديدة [١٠]، ولعل هذا يبد و مُدركاً بالفطرة – إدراك يجبرها على التوسع بطرقٍ شتى . وحتى في ظل إدارة بعض الرؤساء الاميركان الاضعف امثال رثرفورد هايس وجيمس كارفيلد وتشستر آرثر وبينجامين هاريسون – نمى اقتصاد الولايات المتحدة بثبات وهدوء في اواخر القرن التاسع عشر . وكلما تنامت تجارة البل د مع العالم الخارجي كلما نمت لديه مصالح اقتصادية واستراتيجية مُعقدة في مناطق نائية . احياناً، تبرر هذه المصالح العمل العسكري كما في اميركا الجنوبية ومنطقة المحيط الهادئ (الباسيفيك)، على سبيل المثال . وكانت الولايات المتحدة قادرة حينذاك ايضاً على البدء بالترك يز على الشأن الخارجي خلال تلك المدة لأنها أمنت الجبهة الداخلية للقارة؛ إذ ان اخِر معركة كبيرة في سلسلة الحروب الهندية جرى خوضها في العام ١٨٩٠.

تُؤمن الصين اليوم حدودها البرية وبدأت تتجه الى الخارج . وان طموحات السياسة الخارجية الصينية قوية مثلما كانت طموح ات السياسة الخارجية الاميركية قبل قرن مضى، ولكنها لأسبابٍ ودواعٍ مختلفة . فالصين لا تتبنى منهجاً تبشيرياً إزاء الشؤون العالمية أو تسعى لنشر ايديولوجية ما، او نظام حكم . فالتقدم الاخلاقي في الشؤون الدولية هو هدف اميركي وليس هدفاً

---

[٧] **هنا يشير الكاتب روبرت د. كابلان الى نفسه. (المترجمة)**

[٨] **أي أوائل عام ٢٠١٠، إذ نُشرت المقالة في عدد مجلة الفورين افيرز (Foreign Affairs) الصادر في أيار/حزيران ٢٠١٠. (المترجمة)**

[٩] **يعني انها تنمو نمواً عضوياً مثل أي كائن حي. (المترجمة)**

[١٠] **دافع المفكر الجيوبوليتكي الفريد ماهان عن فكرة جيوبوليتكية مركزية تنطلق من اعتبار الدولة كائناً حياً، قدرتها على الحركة والنمو والتوسع هي التي تعطيها القوة والاستمرارية. (المترجمة)**

صينياً . إذ تُحرك الأعمال التي تُمارسها الصين في الخارج حاجتها الى تأمين الطاقة والفلزات والمعادن الاستراتيجية بغية دعم مستويات المعيشة الآخذة بالازدياد لسكانها الكُثر الذين يبلغون خُمس اجمالي سكان العالم.

ولانجاز هذه المهمة، تبني الصين علاقات قوة نفعية في الأراضي المجاورة والأصقاع النائية الغنية بالموارد التي تحتاجها الصين لدعم نموها . ولأن ما يحرك الصين في الخارج يكون ذا علاقة بالمصلحة الوطنية الجوهرية.. أي الديمومة الاقتصادية.. يمكن تعريف الصين على انها قوة واقعية[١١]. فهي تسعى لتطوير وجود ثابت عبر أجزاء من أفريقيا غنية بالنفط والمعادن وتريد تأمين المعابر الى المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبي[١٢] الذي يربط العالم العربي–الفارسي الغني بالنفط بالساحل الصيني. ولأن لا خيار لها في الأمر، لا تهتم بكين بنوع النظام الذي تتعامل معه. ما تريده في ذلك النظام هو الاستقرار وليس الفضيلة كما يصور الغرب ذل ك. وبسبب ان بعض هذه الأنظمة.. كما في إيران وميانمار (والمعروفة بـ بورما) والسودان.. هي أنظمة سلطوية وجاهلة، فان بحث الصين في أرجاء المعمورة عن الموارد يجعلها في تعارض مع الولايات المتحدة ذات التوجه التبشيري، وتتنازع بلدان مثل الهند وروسيا على دوائر نفوذهما.

لا ريب في ان الصين لا تُعّد مشكلة وجودية لهذه الدول . وان فرصة نشوب حرب بين الصين والولايات المتحدة تكون بعيدة . إذ يكون التهديد العسكري الصيني للولايات المتحدة غير مباشرٍ فحسب. وان التحدي الذي تطرحه الصين هو تحدٍ جغرافي بالدرجة الأساس. مع ذلك، تتعلق

---

[١١] يعكس الاهتمام المتزايد من جانب الصين ببحر الصين الجنوبي وكذلك ببحرها الشرقي وبحر اليابان ومضايق تايوان انشغالاً طبيعياً ومنطقياً بأمنها المباشر، لا سيما ان المناطق المتاخمة لهذه البحار أصبحت خلال الأعوام الثلاثين الماضية أهم قواعد النمو الصناعية والتجارية في الصين إن لم يكن في آسيا كلها . يعكس أيضا توجهاً إستراتيجياً أوسع نحو العالمية . (المترجمة نقلا" عن مقال لجميل مطر نشرته صحيفة السفير على الانترنت)

[١٢] تمر من بحر الصين الجنوبي أكثر من ثلث التجارة البحرية العالمية، وحيث يمر نصف مجمل واردات شمال شرق الصين والكوريتين واليابان وتايوان من النفط والغاز . وأن حماية تجارة الصين وأساطيلها وقواعدها في الخارج تتوقف على نجاحها في تأكيد هيمنتها على مياه هذا البحر، فهو البحر الذي ستنطلق منه غواصاتها وسفنها العسكرية وبواخرها التجارية المتجهة إلى المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. وجدير بالذكر ان الكاتب سيمفيندورفر «Sempfendorfer» يطلق تعبير طريق الحرير الجديد على خطوط الملاحة الصينية الممتدة من بحر الصين الجنوبي إلى أقصى نقطة عند الأميركيتين مروراً بالشرق الأوسط. ويختلف هذا الطريق عن طريق الحرير القديم في أن القديم اعتمد على البر من مواقع في غرب الصين مروراً بوسط آسيا حتى غربها وجنوب أوروبا بينما يعتمد الطريق الجديد على البحر من موانئ على سواحل بحر الصين الجنوبي مروراً ببحار الهند والعرب وصولاً إلى مياه الأطلسي.. هذا الطريق . وما ينقله من بضائع . هو الذي يفرض الآن على الصين بناء أكبر قوة بحرية، بعد القوة الأميركية. (المترجمة نقلا" عن مقال لجميل مطر نشرته صحيفة السفير على الانترنت)

أهم القضايا الحساسة بالديون والتجارة وارتفاع درجات حرارة الكرة الأرضية. لا بد من الإشارة إلى ان بروز نفوذ الصين في اوراسيا وافريقيا آخذ بالنمو ليس بنزعة امبريالية توسعية كتلك التي سادت في القرن التاسع عشر بل بطريقة أكثر براعة ونعومة تتلاءم مع عصر العولمة. ببساطة، تغير الصين، من خلال تأمين حاجاتها الاقتصادية، توازن القوى في النصف الشرقي من الكرة الأرضية . يجب أن يُثير هذا قلق الولايات المتحدة . إذ ينطلق نفوذ بكين ويتوسع، على البر والبحر مدفوعة بموقع الصين المفضل على الخارطة، من آسيا الوسطى إلى بحر الصين الجنوبي ومن أقصى الشرق الروسي الى المحيط الهندي. وعليه، فان الصين قوة قارية صاعدة مثلما راح نابليون ذات مرة يقول ان سياسات مثل هذه الدول تكون مُتضمنة سلفاً في جغرافيتها.

لا بد من القول ان شينغيانغ والتبت هما المنطقتان الرئيستان داخل الدولة الصينية اللتان عارض سكانهما جذب الحضارة الصينية لهما . يجعل هذا منهما بالنسبة لبكين اولويتين توسعيتين . فضلاً عن ان التوترات القومية الأثنية في هاتين المنطقتين تُعقد من علاقات بكين بالدول المجاورة . شينغيانغ هو اسم المقاطعة الواقعة في اقصى غرب الصين، وتعني "سيادة جديدة "، تُشير الى تركستان الصين . وهي منطقة تعادل ضعف حجم تكساس والتي تقع بعيداً عن قلب الصين عبر صحراء جوبي[١٣] (Gobi Desert). لا جدل في القول ان الصين كانت وما تزال دولة تتخذ شكلاً ما منذ آلاف السنين الا ان شينغيانغ اصبحت رسمياً جزءً منها اواخر القرن التاسع عشر فحسب . منذ ذلك ا لحين، وكما قالها ذات مرة الدبلوماسي البريطاني في القرن العشرين السير فيتزروي ماكلين، كان تاريخ المقاطعة وما أنفك مضطرباً، مستشهداً بثورات ومراحل من الحكم الذاتي في أربعينيات القرن العشرين . في العام ١٩٤٩، زحف شيوعيو ماوتسي تونغ الى شينغيانغ والحقوا المقاطعة ببقية الصين . ولكن كما حدث مؤخراً في تسعينيات القرن الماضي والعام الفائت، تمرد على حكم بكين الايغور التركمان المنحدرون من الاتراك الذين حكموا منغوليا في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

يبلغ عدد الايغور في الصين حوالي ثمانية ملايين ويشكلون اقل من واحد بالمئة من سكان الصين الا انهم يمثلون ٤٥ بالمئة من سكان شينغيانغ. تتمركز غالبية سكان الصين من قوم الهان في السهول الواقعة وسط الصين وفي المناطق المُطلة على المحيط الهادئ (الباسيفيك) في حين ان

---

[١٣] صحراء جوبي صحراء مترامية الأطراف في الجزء الشرقي من وسط اسيا . تفصل ما بين منغوليا الداخلية ومنغوليا الخارجية، وتتخذ شكل قوس يبلغ طوله ١,٦٠٠ كيلو متر، ويتراوح عرضه ما بين ٤٨٠ و٩٦٠ كيلومترا. مساحتها ١,٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع. تشهد توسعاً سريعاً. (المترجمة نقلاً عن موسوعة ويكيبيديا)

السهول الجافة في غرب الصين وجنوب غربها هي الأوطان التاريخية لأقليتا ا لايغور والتبتيين . يُعّد هذا التوزيع مصدراً مستمراً للتوتر . إذ ان من وجهة نظر بكين وجوب ان تُمارس الدولة الحديثة سيطرة كاملة على هذه السهول . ولكي تُأمن هاتين المنطقتين – كما تُامن النفط والغاز والنحاس وخام الحديد تحت ترابهما – فانها كانت وما برحت لعقود من ا لزمن تنقل الصينيين من قوم الهان من قلب البلد الى الاقليميين للاستيطان هنالك . وتتودد بقوة لجمهوريات اسيا الوسطى التركمانية المستقلة لتحرم، الى حد ما، ايغور شينغيانغ من أي قاعدة خلفية ممكنة.

كما كانت بكين تتقرب من حكومات اسيا الوسطى لتوسيع مجال تأثيرها . إذ تمتد الصين بعيداً في اوراسيا الا ان هذا ليس كافياً لسد حاجة الصين من الموارد الطبيعية. ويتخذ نفوذ بكين في اسيا الوسطى شكل خطيّ انابيب رئيسين يُنجزان في القريب العاجل يمتدان الى شينغيانغ : يحمل أولهما النفط من بحر قزوين عبر كازاخستان في حين يحمل الآخر الغاز الطبيعي من تركمنستان عبر اوزبكستان وكازاخستان. وتعني حاجة بكين الماسة للموارد الطبيعية ان بكين ستجازف لتأمينها . إذ تنقب الصين الآن عن النحاس جنوب كابل في افغانستان التي مزقتها الحرب، وعينها على الحديد والذهب واليورانيوم والاحجار الكريمة الموجودة في المنطقة (فالمنطقة تمتلك اخر ما لدى العالم من تراكمات غير مستعملة). وتأمل بكين في شق الطرق ومد انابيب الطاقة عبر افغانستان وباكستان لربط سيادتها الاسيوية الوسطى الناشئة (شينغيانغ) بموانئ مطلة على المحيط الهندي. وقد تتعزز الجغرافية الاستراتيجية للصين اذا ما حققت الولايات المتحدة الاستقرار في افغانستان.

ومثل شينغيانغ، تكون التبت اساسية في الإدراك الذاتي الإقليمي للصين . كما تؤثر، مثل شينغيانغ، في العلاقات الخارجية للصين . ويعني السهل التبتي الجبلي الغني بالنحاس وخام الحديد الكثير لأرض الصين. وهذا هو السبب وراء ان تنظر بكين برعب لاحتمال ان ينال اقليم التبت حكماً ذاتياً وبيات مستقلاً لوحده . كما يُعلل سبب قيام الصين بشق الطرق وبناء سكك الحديد عبر المنطقة. فدون التبت، ربما تكون بكين مجرد أثارة ليس إلا .. وان الهند قد تضيف منطقة شمالية الى نفوذها شبه القاري.

ومع سكان الصين الذين يفوقون المليار، تكون الهند أسفيناً جغرافياً غير حاد في منطقة النفوذ الصيني في اسيا . وتُلقي خريطة "صين أعظم" في كتاب زبيغنيو بريجينسكي الموسوم "رقعة الشطرنج الكبرى" الضوء على هذه المنطقة . والى حدٍ ما، قدرت الجغرافية للصين والهند ان يكونا متنافسين: جارتان ذاتا عدد هائل من السكان، وحضارتان غنيتان ومهيبتان، وإدعاءات متنازعة على

الارض (على سبيل المثال التنازع على ولاية اروناتشال براديش الهندية [١٤]). وتجيئ مسألة التبت لتفاقم من هذه المشاكل. إذ تستضيف الهند حكومة الدالاي لاما [١٥] في المنفى منذ العام ١٩٥٧[١٦]. ووفقاً لدانييل توينينغ الباحث في مؤسسة مارشال الالمانية فان التوترات الحدودية الصينية – الهندية الاخيرة ربما تكون ذات علاقة بقلق الصين بشأن خلفية الدالاي لاما : فالدالاي لاما المقبل ينحدر من من الحزام التبتي الذي يمتد عبر شمالي الهند والنيبال وبوتان. يجعل هذا من الدالاي لاما ينحاز أكثر للهند ويعارض الصين.

وستؤدي الصين والهند "لعبة كبيرة " ليس في هذه المناطق فحسب بل وفي بنغلادش وسيرلانكا أيضاً . تقع كل من شينغيانغ والتبت ضمن الحدود القانونية للصين، الا ان العلاقات المتوترة بين الحكومة الصينية وشعبي هذين الإقليمين تقترح انه طالما توسع بكين نفوذها الى ابعد من صميمها المتمثل باثنية الهان، فانها تكون مُلزمة بالتصدي للمعارضة.

وحتى عندما تكون حدود الصين آمنة، فان شكل البلد المجرد يجعلها تظهر وكأنها ناقصة على نحو خطيٍ .. وكأن أجزاءً من صينٍ أعظم قد اقتطعت منها . وتلتف الحدود الشمالية للصين حول منغوليا وهو إقليم كبير يبدو وكأنه أُقتطع من خلف الصين ذات مرة . ولدى منغوليا الكثافة السكانية الادنى في العالم ومهددة الآن ديموغرافياً بالحضارة الصينية المدنية في الجوار.

ولأن بكين احتلت ذات يوم منغوليا الخارجية لتصل الى ارضٍ أكثر خصباً، فانها تحافظ الآن على توازنها لتحتل منغوليا مرة اخرى على غرار ذلك لتسد حاجتها من الفحم واليورانيوم والمراعي الغنية والخالية. وكانت شركات التعدين الصينية وما انفكت تسعى للحصول على حصص كبيرة فيما تمتلكه منغوليا تحت أرضها . ذلك ان التصنيع والتمدُّن غير الخاضعي ن للرقابة جعلتا

---

[١٤] تقع ولاية اروناتشال براديش شرقي الهند. يعدها المسئولون الهنود جزءً لا يتجزأ من الأراضي الهندية. (المترجمة)

[١٥] يمثل الدالاي لاما القيادة الدينية العليا للبوذيين التبتيين، وهو ينتمي إلى جماعة القبعات الصفر التي تسمى غيلوغبا .وتعني كلمة دالاي "المحيط" باللغة المغولية، أما "لاما" فتعني "السيد الروحاني". كان الدالي لاما يمثل مع الوصي على العرش والحكومة التبتية النظام الثيوقراطي الذي حكم التبت منذ العام ١٦٤٢م حتى العام ١٩٥٩م، تاريخ نفي الدالاي لاما الرابع عشر تينزن غياتسو الى الهند بيد الحكومة الصينية الشيوعية والتي كانت قد احتلت التبت عسكرياً . صدر حديثا كتاب جديد يتناول سيرته الشخصية من تأليف الكاتب الصيني ميانغ شايا . و يستعرض الكتاب ا لسياسات الآسيوية التي تشكل مدخلاً لفهم إستراتيجية تفكير الفيلسوف الدالاي لاما، روحياً ، وسياسياً، وهو الذي أمضي خم سين عاماً منفياً في الهند . وضع الدلاي لاما أكثر من خمسين كتاباً في الفلسفة والسياسة والأدب وحاز على جائزة نوبل في العام ١٩٩٨م. (المترجمة)

[١٦] تاريخ نفي الدالاي لاما الرابع عشر تم في العام ١٩٥٩، إذ مع تولي الشيوعيين الحكم في الصين وسيطرتهم على مقدرات الأمور في التبت عام ١٩٥٩، انتقل الدلاي لاما الرابع عشر لاجئاً إلى الهند ، واستقبله رئيس الوزراء الهندي حينذاك جواهر لال نهرو وضمن له ولمن معه الإقامة في بلاده. وشكل حكومة منفى في شمالي الهند. (المترجمة)

الصين في مقدمة الدول المُستهلكة لليورانيوم والنحاس والرصاص والنيكل والقصدير وخام الحديد على مستوى العالم. كما قفزت حصة الصين من الاستهلاك العالمي للمعادن من ١٠% الى ٢٥% منذ اواخر تسعينيات القرن الماضي. وفي حال تصبح التبت وماكاو وهونغ كونغ تحت سيطرة بكين، فان تعامل الصين مع منغوليا، سيكون أنموذجاً تمتحن عنده النوايا الامبريالية التوسعية التي تضمرها الصين.

تقع منطقة أقصى الشرق الروسي شمال منغوليا والأقاليم الشمالية الشرقية الصينية الثلاث، وهي منطقة هائلة المساحة، يبلغ حجمها ضعف حجم قارة اوروب ا وذات عدد ضئيل من السكان يتناقص شيئاً فشيئاً. وقد وسعت الدولة الروسية وصولها الى هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في وقتٍ كانت فيه الصين دولة ضعيفة . الآن، فان الصين دولة قوية وان سلطة الحكومة الروسية لا تكون ضعيفة مثلما هي في الثلث الشرقي من البلد. وعبر الحدود، يعيش في اقصى الشرق الروسي حوالي سبعة ملايين روسي، وهو رقمٌ يمكن ان ينخفض الى ٤,٥ مليون روسي بحلول العام ٢٠١٥ .. في حين يعيش في المقاطعات الصينية الثلاث المتاخمة حوالي ١٠٠ مليون صيني. وعليه، تكون الكثافة السكانية على الجانب الصيني أكبر بـ ٦٢ مرة منها على الجانب الروسي. وكان المهاجرون الصينيون ومابرحوا يتسللون الى روسيا مستوطنين بأعداد كبيرة في مدينة Chita شمال منغوليا وأماكن أخرى في المنطقة . لا مراء في ان الحصول على الموارد هو الهدف الرئيس لسياسة الصين الخارجية في كل مكان . وان لدى أقصى الشرق الروسي، ضئيل السكان، احتياطات كبيرة من الغاز الطبيعي والنفط وغابات الأشجار والماس والذهب . وكما كتب ديفيد بلير مراسل صحيفة ديلي تليغراف اللندنية الصيف المنصرم يقول "ان موسكو قلقة من الأعداد الكبيرة من المستوطنين الصينيين الذين ينتقلون الى هذه المنطقة جارين وراءهم شركات الأخشاب والتعدين.

وشأن الحال مع منغوليا، إذ لا يتمثل الخوف في ان يجتاح الجيش الصيني يوماً ما أقصى الشرق الروسي أو ان يجري ضمه رسمياً الى الصين . بل الخوف من تعاظم الديموغرافية الكاسحة لبكي ن وازدياد سيطرة الشركات على المنطقة .. أقامت الصين أجزاءً من هذه المنطقة خلال حكم سلالة كينغ . وخلال الحرب الباردة، جلبت النزاعات الحدودية بين الصين والاتحاد السوفيتي مئات الآلالف من القوات الى سيبيريا النائية. وأحياناً، تحولت هذه التوترات الى صدامات. ففي اواخر ستينيات القرن الماضي قادت هذه التوترا ت الى الخلاف الصيني – السوفيتي. ولعل الجغرافيا تُباعد بين الصين وروسيا طالما ان تحالفهما الحالي هو مجرد تحالف تكتيكي. ويمكن ان يعود هذا بالنفع على الولايات المتحدة. ففي سبعينيات القرن الماضي كانت إدارة نيكسون قادرة على الإفادة من الخلاف بين بكين وموسكو فما لت الى الصين . في المستقبل، ومع الصين بوصفها "قوة أعظم "، قد تشترك الولايات المتحدة مع روسيا في تحالفٍ استراتيجي لموازنة مملكة

الوسط.

الوعود الجنوبية

يمتد نفوذ الصين ايضاً الى الجنوب الشرقي من اسيا . يعزى الأمر في الحقيقة للضعف النسبي لدول جنوب شرق ا سيا . عليه، يُلاقي ظهور "صين أعظم " في المنطقة اقل قدرٍ من المقاومة. فثمة عوائق جغرافية قليلة نسبياً تفصل الصين عن فيتنام ولاوس وتايلند وميانمار . وقد تكون كونمينغ[١٧] (Kunming) في مقاطعة يونان (Yunnan) الصينية، رأس المال الطبيعي لأي مجال تأثير مرتكزةً على نهر ميكونغ[١٨] (Mekong River) ورابطة كل بلدان الهند الصينية[١٩] عن طريق البر والنهر.

ان ميانمار هي البلد الأكبر في جنوب شرق آسيا . فاذا ما كانت باكستان هي بلقان اسيا في خطر ان تتعرض للتمزيق، فان ميانمار هي بلجيكا اوائل القرن العشرين تكون في خطر ان يتم اجتياحها من جاراتها الكبرى. ومثل منغوليا واقصى الشرق الروسي واراضٍ اخرى على الحدود البرية للصين، تكون ميانمار دولة ضعيفة غزيرة بالموارد الطبيعية التي تحتاجها الصين بشدة . وتتنافس الصين والهند لتطوير مرفأ سيتاوا في ساحل ميانمار المُطل على المحيط الهندي وكلاهما يأمل في نهاية المطاف بمد خطوط انابيب للغاز تبدأ من الحقول البعيدة عن الشواطئ في خليج البنغال.

وبالنسبة للمنطقة ككل، تتبنى الصين في بعض النواحي إستراتيجية فرق تسد . في الماضي، تفاوضت الصين مع كل بلدٍ في مجموعة الآسيان(رابطة دول جنوب شرق آسيا) على حده وليس معها جميعاً وحدة واحدة. بل وحتى ان اتفاقيتها الجديدة التي بدأتها حديثاً لإنشاء منطقة تجارة

---

[١٧] كونمينغ عاصمة محافظة يونان جنوب غرب الصين، تبلغ مساحتها ٢١،٥٠١ كيلومتر مربع بينما يبلغ عد د سكانها ٦.٨ مليون نسمة حسب إحصاء العام ٢٠٠٩. (المترجمة)

[١٨] نهر الميكونغ هو ثاني أنهار العالم بعد الأمازون من حيث كثرة وتنوع ثروته السمكية، والحادي عشر بين أنهار العالم من حيث الطول؛ حيث يمتد على طول ٤٨٠٠ كم منطلقًا من إقليم كينغاي في أقصى الغرب الصيني، ثم يمر بإقليمي التبت ويونان الصينيين قبل أن يدخل الأراضي الميانمارية (بورما سابقًا)، ثم يخترق لاوس ليشكِّل حاجزاً طبيعيًّا على معظم الحدود بينها وبين تايلاند، مخترقاً بعدها الأراضي الكمبودية قبل أن يتجه نحو فيتنام ليصب بعدها مياهه في بحر الصين الجنوبي . وهو بذلك يُعَدّ أطول أنهار جنوب شرق آسيا.

تتمحور أبرز نقاط الخلاف بين الدول حول كون القرارات البيئية الخاصة بالنهر يتم اتخاذها في بكين .. رغم رفض الصين الانضمام لهيئة نهر ميكونغ التي تضم الدول المشتركة في مياهه وهي تايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام، التي أُعيد تأسيسها العام ١٩٩٥م .كما لا توجد أي منظمة حكومية أو بيئية تلقي الضوء بجدية على السدود التي يتم بناؤها على روافد النهر العليا في الصين. (المترجمة)

[١٩] الهند الصينية او شبه الجزيرة الهندية الصينية : هي منطقة في جنوب شرق اسيا، تقع شرق الهند وجنوب الصين . (المترجمة)

حرة مع الآسيان تُظهر كيف ان الصين تستمر في تطوير علاقات نفعية مع جاراتها الجنوبية . فقد استخدمت الصين دول الآسيان سوقاً لبيع البضائع الصينية المُصنعة باهظة الثمن في حين تشتري منها المنتجات الزراعية الرخيصة . أدى هذا الى فوائض تجارية صينية حتى عندما تصبح بلدان الآسيان ارض إغراق[٢٠] للبضائع الصناعية المُنتجة بعمالة صينية رخيصة.

ويتزامن ظهور سعي الصين في الهيمنة على هذه المنطقة حالما تؤدي تايلند القوية والتي اهتزت بالمشاكل السياسية المحلية مؤخراً دوراً أقل فأقل بصفة مرتكز اقليمي وقوة موازنة للصين . إذ لا تستطيع العائلة الملكية في تايلند بملكها المريض ان تكون قوة استقرار مثلما كانت ذات مرة . كما يُقلق الشقاق الحزبي الجيش التايلندي. (تعكف الصين الآن على تطوير علاقات عسكرية ثنائية مع تايلند كما تنسج على منوال إقامة مثل هذه العلاقات مع بلدان جنوب شرق آسيا الأخرى حتى عندما لا تولي الولايات المتحدة اهتماماً بالمناورات العسكرية الا قليلاً وذلك لانشغالها بحربيها في افغانستان والعراق.) والى جانب تايلند، فان كل من ماليزيا وسنغافورة تتجهان نحو تحدي ال تحولات الديمقراطية بينما يغادر رجلا بناء الأمتين القويان مهاتير بن محمد ولي يو (Lee Yew)[٢١] المشهد السياسي .اما ماليزيا فانها تتجه نحو ان تستظل بظل الصين اقتصادياً حتى عندما يشعر سكانها من الأثنية الصينية بانهم مهددون من الأغلبية الماليزية المسلمة . في حين تخشى حكومة سنغافورة، رغم ان غالبية سكان الدولة من الأثنية الصينية، من ان تُصبح تابعة للصين . عليه، راحت تُرسي قواعد علاقة تدريب عسكري مع تايوان. وحث لي (Lee) جهاراً الولايات المتحدة على إبقاء التزامها العسكري والدبلوماسي في المنطقة. اندونيسيا، من جانبها، واقعة بين الحاجة الى وجود

---

[٢٠] إغراق اقتصادي (dumping) : ممارسة سياسة بيع المنتجات في الأسواق الأجنبية بأسعار تقل عن تلك الأسعار السائدة في أسواق البلد المصدر للمنتجات أو دون تكلفة إنتاجها . ويكون ذلك وسيلة من وسائل المنافسة من جهة وأسلوباً من أساليب تحقيق عمالة أكبر على حساب البلدان الرأسمالية الأخرى من جهة ثانية أ و توخياً للحصول على العملة الصعبة جراء التصدير . (المترجمة)

[٢١] لي كوان يو (Lee Kuan Yew) : ولد في ١٦ايلول/سبتمبر ١٩٢٣ هو سنغافوري ينحدر من مهاجرين صينيين . وكان اول رئيس وزراء لجمهورية سنغافورة من ١٩٥٩ إلى ١٩٩٠. وفي ظل حكمه أصبحت سنغافورة واحدة من أكثر أقطار آسيا ازدهاراً، وقد مارست حكومته سيطرة قوية على اقتصاد الدولة ونظامها السياسي. استقال لي من رئاسة الوزراء عام = =١٩٩٠م، وخلفه كوه تشوك تونك. غير أن لي بقي شخصية سياسية مهمة بوصفه رئيساً لحزبه السياسي، ووزيراً كبيراً في مجلس وزرا ء كوه تشوك تونك.

استمر لي واحداً من أكثر الشخصيات السياسية نفوذاً في جنوب شرق آسيا . وتحت إدارة ثاني رئيس وزراء لسنغافورة، كوه تشوك تونك ، أصبح لي الوزير الأكبر. يشغل حالياً منصباً آخر أوجده لنفسهوهو الوزير المفكر تحت رئاسة ابنه لي شيين لونك ، الذي أصبح ثالث رئيس وزراء لهذه البلاد في ١٢ آب/اغسطس ٢٠٠٤. (المترجمة نقلاً عن موسوعة المعرفة)

الأسطول البحري للولايات المتحدة لدرء خطر الصين، وبين الخوف من ان تظهر بمظهر حليف اميركي، إذ ستثير غضب بقية العالم الإسلامي . وطالما يتراجع نفوذ الولايات المتحدة في جنوب شرق اسيا وتصعد نظيرته الصينية، فان دول المنطقة تتعاون بازدياد مع ب عضها البعض لتسكين استراتيجية فرق تسد الصينية. فقد توحدت كل من اندونيسيا وماليزيا وسنغافورة معاً لمكافحة اعمال القرصنة على سبيل المثال. فكلما ازداد اعتماد هذه الدول على نفسها كلما باتت مهددة اقل بصعود الصين.

في الجيش

لا تثريب في ان اسيا الوسطى ومنغوليا وا قصى الشرق الروسي وجنوب شرق اسيا هي مناطق طبيعية للنفوذ الصيني. الا انها أيضاً مناطق من غير المرجح ان تتغير حدودها الجغرافية . اما الموقف على شبه الجزيرة الكورية فهو مختلفٌ : فخريطة الصين مقطوعة بوضوح هنالك ، وانه ثمة حدود سياسية يمكن ان تتغير.

لا بد من الاشارة الى ان نظام كوريا الشمالية الذي لا يتأثر بالنفوذ الخارجي غير مستقر أساساً وان انهياره يمكن ان يؤثر على المنطقة برمتها . وبعيداً عن منشوريا، تسيطر شبه الجزيرة الكورية على طرق الملاحة البحرية من شمال شرق الصين واليها . ولا يتوقع احد ما من الصين ان تستولي على أي جزء من شبه الجزيرة الكورية. مع ذلك، تبقى الصين منزعجة من سيادة دول اخرى هنالك لا سيما في شمال شبه الجزيرة . وعلى الرغم من ان الصين تساند نظام كيم جونغ ايل الستاليني فانها تخطط لشبه الجزيرة الكورية لما بعد حكمه . إذ ترغب بكين في إعادة الآلاف من المنشقين والمناهضين من الكوريين الشماليين الذين يعيشون الآن في الصين . وهكذا يمكنهم بناء قاعدة سياسية مثالية تمهد لسيطرة اقتصادية تدريجية تفرضها الصين على منطقة نهر تومين حيث تلتقي الصين وكوريا الشمالية وروسيا والذي لديه تسهيلات مرفئية جيدة عبر اليابان على سواحل المحيط الهادئ (الباسيفيك).

ولهذا السبب تفضل الصين ان ترى دولة أكثر حداثة وأكثر سلطوية في كوريا الشمالية .. يمكن لمثل هذا الدولة ان توجد حاجز بين الصين وكوريا الجنوبية ذات الطبقى الوسطى الديمقراطية. ولكن توحيد شبه الجزيرة الكورية قد يعود بالنفع ايضاً على بكين في نهاية المطاف . إذ ان كوريا موحدة قد تكون قومية وتضمر بعض العداء للصين واليابان، فقد سعى كلاهما لاحتلالها في الماضي. الا ان عداء كوريا إزاء اليابان أكبر من عدائها للصين . (احتلت اليابان شبه الجزيرة الكورية للمدة من ١٩١٩ الى العام ١٩٤٥، وتستمر سيئول وطوكيو بالجدل حول وضع جزيرتي

دوكدو/تاكيشيما.) وستكون العلاقات الاقتصادية مع الصين أكبر منها مع اليابان : إذ ستكون كوريا موحدة، بطريقة او باخرى، تحت سيطرة سيئول وان الصين هي الشريك التجاري الأكبر لكوريا الجنوبية. واخيراً، فان كوريا موحدة تميل نحو بكين بعيداً عن ا ليابان قد لا يكون لها سبب في الاستمرار باستضافة القوات الاميركية على ارضها . بمعنى اخر، من اليسير تصور مستقبل كوريا ضمن صين أعظم وهو امر سيتحقق حينما سيتضاءل الوجود البري الأميركي في شمال شرق اسيا.

ومثلما يُظهر انموذج شبه الجزيرة الكورية، تؤمن الحدود البر ية للصين بمزيدٍ من الفرص أكثر من المصادفات . وكما اقترح ماكيندر، يبدو ان الصين تطور الآن قوة برية وقوة بحرية عظيمتين ستحجبان، على الاقل، نور روسيا في اوراسيا.

وكتب عالم السياسة جون ميرشايمر في كتابه ‘مأساة سياسات القوى العظمى ’ "تكون القوى القارية بجيوشها ا لكبيرة هي الدول الأكثر خطورة في النظام الدولي ." وربما يدعو هذا الى الخوف من تأثير الصين طالما انها تصبح قوة قارية. بيد ان الصين توافق وصف ميرشايمر جزئياً . إذ ان جيشها البالغ عدده ١,٦ مليون جندي، هو الجيش الأكبر في العالم الا انها لن تمتلك القدرة على الانفاق عليه للسنوات القادمة. من الصحيح ان جيش التحرير الشعبي قد استجاب فعلاً لحالة طوارئ الهزة الارضية في اقليم سيشوان[٢٢](Sichuan) في العام ٢٠٠٨، والاضطراب الأثني الاخير في التبيت وشينغيانغ، والتحدي الامني الذي طرحته اولمبياد بكين ٢٠٠٨. ولكن وفقاً لابراهام دنمارك من مركز الامن الاميركي الجديد، لا يُظهر كل ما ذُكر اعلاه ان جيش التحرير الشعبي يحرك قواته من احد أطراف الصين القارية الى الطرف الأخر . ولا يُظهر انه يستطيع تحريك التجهيزات والمعدات الثقيلة بالمعدل المطلوب للانتشار العسكري. وربما ان الحصول على مثل هذه القدرة لا يعني كثيراً بأي حال، طالما ان جيش التحرير الشعبي ليس مرجحاً له ان يعبر حدود الصين الا في حالة سوء تقدير الحسابات (إذ ربما تكون ثمة حربٍ أخرى مع الهند)، أو لملء فراغ (اذا ما انهار نظام كوريا الشمالية). لا فصال في ان الصين تستطيع ملء فراغات القوة على حدودها الواسعة عبر وسائل ديموغرافية ومشتركة دون الحاجة الى دعم الإنفاق على القوة البرية.

تُعزى قوة الصين البرية التي لم يُسبق لها مثيل، الى حد ما، الى الدبلوماسيي ن الصينيين الذين عكفوا في السنوات الأخيرة على تسوية الكثير من النزاعات الحدودية مع جمهوريات آ سيا الوسطى وروسيا

---

[٢٢] زلزال سيشوان ٢٠٠٨ : زلزال حدث في مقاطعة سيشوان جنوب غرب جمهورية الصين الشعبية. ظهر يوم الاثنين الموافق ٢٨ ايار/مايو ٢٠٠٨. وبلغ عدد الخسائر في الأرواح طبقا لما ورد عن الإحصا ئيات الحكومية الصينية جراء هذا الزلزال ٣٢٤٧٧ قتيل، وحسب مصادر حكومية فإن عدد القتلى قد يتجاوز ٥٠٠٠٠ شخص. وأرسل جيش التحرير الشعبي خمسة آلاف جندي من إقليم تشنجدو للمساعدة في عمليات الإنقاذ وتقييم الأضرار. (المترجمة)

والجارات الأخرى (الهند هي الاستثناء الصارخ). ولا يمكن المغالاة في أهمية هذا التغيير . إذ لم يعد هنالك جيشٌ يندفع نحو منشوريا . ففي الحرب الباردة، أجبر ذلك الوجود المشؤوم ماو على التركيز على ميزانية الصين الدفاعية المخصصة لجيشه ويهمل البحرية . وكما يشهد السور العظيم، فان الصين كانت منهمكة بالغزو البري أكثر من أي نوع اخر منذ القِدم. ولم تعد كذلك.

الحصول على اذرع بحرية

بفضل وضعها المُرضي على الصعيد البري، تكون الصين الآن حرة في بناء أسطول بحري قوي. ولما كانت المدن الساحلية والأمم الجزرية تعّد القوة البحرية شيئاً طبيعياً فان بناءها يُعد ترفاً[٢٣] لقوى قارية جزرية تاريخياً مثل الصين . في مثل حالة الصين، يكون من السهل الحصول على مثل هذا الترف طالما ان الله انعم على البلد بساحله وداخله القاري . إذ تسيطر الصين على الساحل الآسيوي الشرقي في المناطق المعتدلة والاستوائية من المحيط الهادئ وفي حدودها الجنوبية القريبة من المحيط الهندي الذي قد ترتبط به يوماً ما من خلال بناء الطرق ومد خطوط أنابيب الطاقة. في القرن الحادي والعشرين تستعرض الصين قوتها الصلبة في الخارج بشكل أولي من خلال بحريتها.

ومثلما ذُكر انفاً، تواجه الصين بيئة أكثر عدائية في البحر أكثر منه في البر . فالبحرية الصينية تشهد القليل ولكنه مقلق فيما تسميه "سلسلة الجزر الاولى ": شبه الجزيرة الكورية وجزر كوريل واليابان (بضمنها جزر ريوكيو) وتايوان والفلبين واندونيسيا واستراليا . وتكون كُلها، عدا استراليا، م ناطق ساخنة محتملة . إذ ان الصين متورطة بنزاعات مختلفة حول اجزاءً من قواعد محيطية غنية بالطاقة في بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي: مع اليابان حول جزر دياوي/ سنكاكو ومع الفلبين وفيتنام حول جزر سبراتلي. تسمح مثل هذه النزاعات لبكين ان تأجج المشاعر القومية د اخل الوطن، ولكن بالنسبة للخبراء الاستراتيجيين البحريين الصينيين، فان هذا المشهد البحري يبدو في الأغلب الأعم قاتماً . ومرد الامر الى ان سلسلة الجزر الاولى هذه بتعبير جيمس هولمز وتوشي يوشيهارا [٢٤] من كلية الحرب الأميركية نوع من "السور العظيم بالاتجاه المضاد " أي

---

[٢٣] يؤكد روبرت د. كابلان في حوارات أجراها في مواقع متعددة على إن إصرار الصين على بناء قوة بحرية في ظل وجود قوة أميركية عظمى تحمي طرق التجارة الدولية، لا يخرج عن كونه رفاهة تزين بها صعودها السريع في سلم المكانة الدولية، بينما كان بناء بريطانيا قوة بحرية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ضرورة لا غنى عنها لحماية تجارتها العالمية. ولكن نقول هل ما كان جائزا لشعوب الغرب على مدى قرون، لا يجوز بالضرورة لشعوب الشرق وبخاصة في ما يتعلق بالقوة وعناصرها ؟ (المترجمة)

[٢٤] توشي يوشيهارا، وهو أستاذ مشارك في كلية الحرب البحرية الأميركية، قال ان "الصين تقوم ببناء أسطولها البحري الخاص ، لكن ليس من الضروري أن يكون مباراة من سفينة مقابل سفينة. فمع صواريخ دونغ فنغ القاتلة وطويلة المدى يمكن للصين ان

خط حسن التنظيم من حلفاء الولايات المتحدة يعمل بصفته نوع من برج الحراسة لمراقبة الصين وعلى نحو محتمل سد الطريق امام وصولها الى المحيط الهادئ (الباسفيك).

وعليه، كان رد فعل الصين إزاء شعورها بانها محاصرة عدائياً في كثير من الأوقات. فالقوة البحرية عادة ما تكون غير مخيفة مثل القوة البرية : إذ لا تستطيع الأساطيل بنفسها ان تحتل مساحات واسعة ويتحتم عليها ان تفعل ماهو أكثر من القتال الا وهو حماية التجارة . ومن ثمَّ قد يُتوقع من الصين ان تكون صالحة وايجابية مثل الأمم الملاحية الأخرى قبلها _ البندقية وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة _ وان تهتم على نحو اولي، مثلما فعلت هذه القوى بالمحافظة على نظام ملاحي مسالم بضمنه الحركة الحرة للتجارة ولكن لا تتمتع الصين بالقدر ذاته من الثقة بالنفس. فهي ما تزال قوة بحرية غير آمنة وتفكر بالمحيط إقليمياً [٢٥]: فالمصطلحين المجردين "سلسلة الجزر الاولى" و"سلسلة الجزر الثانية " (تضم سلسلة الجزر الثانية أراضٍ تابعة لاميركا مثل غوام وجزر مريانا الشمالية [٢٦]) يقترحان ان الصينيين ينظرون لهذه الجزر على انها امتدادات ارخبيلية للبر الصيني. ومن خلال التفكير بطريقة غير مجدية بشأن البحار المحاذية لبلدهم، يع رض الآن القادة

تصل الى الولايات المتحدة وان تضربها قبل وقت كاف من قيام الولايات المتحدة بإيصال أساطيلها الى البر الصيني الرئيس". وأضاف قائلاً "ان هذه الصواريخ يمكن أن يكون لها تأثير دائم على نفسية صانعي السياسة الأميركية"، وقال يوشيهارا لوكالة اسوشيتد برس "ان هذا التطور يؤكد، أكثر على نطاق واسع، ان البحرية الامريكية لم تعد قواعد لأمواج من الطائرات المغيرة كما كان الحال منذ نهاية الحرب العالمية الثانية." (المترجمة)

[٢٥] أي تفكر بالتوسع البحري. (المترجمة)

[٢٦] جزر ماريانا الشمالية: "هي دولة كومنولث متحدة سياسياً مع الولايات المتحدة المحيط الهادئ . وتتألف من ١٥ جزيرة. تقع جزر ماريانا الشمالية بين مجموعه من الجزر حيث تحدها اليابان من جهة الشمال، وجزر هاواي من الغرب وكما يحدها إقليم غوام من الجنوب، وأخيراً تحدها الفلبين م ن جهة الشرق . تبلغ مساحة جزر ماريانا الشمالية حوالي ٧٩٥ كلم مربع ، وهو ما يعادل تقريبا ثلاث مرات مساحة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأميركية . تعد العاصمة سايبن من أهم المدن في إقليم جزر ماريانا الشمالية والتي بلغ عدد سكانها حوالي ٣٨.٨٩٦ ألف نسمة حسب تعداد عام ١٩٩٠، فيما بلغ عدد السكان الكلي لإقليم جزر ماريانا الشمالية ما مجموعه ٨٤,٥٤٦ ألف نسمة وفق إحصاء عام ٢٠٠٧. يتقن أغلبية سكان جزر مارينا الشمالية اللغة الانكليزية إلا أن نسبة ٨٦% منهم لا يستعملونها في منازلهم. أما الديانة الأكثر انتشاراً في جزر ماريانا الشمالية هي المسيحية يدين أغلبهم بالكاثوليكية .سياسيا تتبع جزر ماريانا الشمالية الولايات المتحدة الأميركية ، ولها دستور مستقل يحكم البلاد بد أ العمل به العام ١٩٨٦ ، ولجزر ماريانا حاكم يرأس البلاد وهو خوان بابوتا والذي تم انتخابه العام ٢٠٠٢ ، وتتكون الحكومة في هيكلتها من لجنة تنفيذية ينتخب أعضاؤها بالكامل ولجنة تشريعية تتكون من مجلس النواب ومجلس الشيوخ وأخيراً لجنة قضائية تتكون من قضاة يعينون من طرف وزارة الداخلية الأمريكية. اقتصادياً تستعمل جزر ماريانا الشمالية الدولار الأميركي عملة رسمية لها ، وقد تمكنت من تحقيق ميزان تجاري ايجابي إذ فاقت عائداتها التي بلغت ٢٢١ مليون دولار أميركي مصاريفها التي بلغت ٢١٦ مليون دولار أميركي ، ويبلغ الناتج المحلي الإجمالي لجزر مارينا الشمالية ٩٠٠ مليون دولار أمريكي. (المترجمة)

البحريون الفلسفة التي وضعها الفريد تاير ماهان[٢٧] الباحث الاستراتيجي البحري الاميركي الذي حث على الهيمنة البحرية والمعركة الحاسمة . الا انهم لا يمتلكون حتى الآن قوة المياه الزرقاء لتطبيقها . وهذا التناقض بين الطموحات والوسائل قد قاد الى بعض الحوا دث الخطيرة على مدى السنوات القليلة الماضية . ففي تشرين الاول من العام ٢٠٠٦، طاردت غواصة صينية حاملة الطائرات الاميركية كيتي هوك (Kitty Hawk) من ثم طفت على السطح عندما تعرضت لنيران طوربيد . وفي تشرين الثاني ٢٠٠٧، منع الصينيون فريق حاملة الطائرات الأميركية (كيتي هوك) من الدخول إلى ميناء فيكتوريا حينما كانت تبحث الحاملة عن وقت راحة كذلك بسبب الطقس السيئ . (قامت الحاملة {كيتي هوك} بزيارة الى هونغ كونغ في العام ٢٠١٠). وفي آذار /مارس ٢٠٠٩، ضايقت مجموعة من سفن بحرية جيش التحرير الشعبي (PLA) سفينة مراقبة أميركية عندما كانت تقوم ببعض العمليات المكشوفة على بُعد ١٢ ميل خارج الحدود الإقليمية للصين في بحر الصين الجنوبي معترضة طريقها ومتظاهرة بالارتطام بها . مثل هذه الأفعال لا تصدر عن قوة عظمى بل عن قوة ما تزال غير ناضجة.

كما يظهر التأكيد الصيني على البحر من خلال مشترياتها الرِسْماليّة. إذ تدأب بكين على تطوير قدرات موضعية لا متماثلة مصممة لاعتراض البحرية الأميركية ومنعها من دخول بحر الصين الشرقي والمياه الساحلية الصينية الأخرى . كما عملت الصين على تحديث أسطولها المُدمَّر[٢٨] ولديها خطط للحصول على حاملة طائرات واحدة أو اثنتين، ب يد انها لا تريد الحصول على سفن حربية من الخارج . بدلاً من ذلك، ركزت الصين على بناء انواع جديدة من الغواصات التقليدية والنووية المُجهزة بالصواريخ البالستية[٢٩]. ووفقاً لسيث كروسبي (Seth Crospey) نائب

---

[٢٧] الفريد ماهان ١٨٤٠ – ١٩١٤: هو قائد بحري اميركي وصاحب مبدأ إستراتيجية القوة البحرية العسكرية ومن أشهر المؤرخين في القوه البحريةِ وذلك لان خلفيته في هذا الميدان تستند إلى الإعداد العلمي الذي أحرزه من خلال دراسته الأكاديميةِ. يقف ماهان بمقدمه رواد القوة البحريةِ. له مؤلفات متنوعة وثرية فيما يخص القوة البحرية منها:

*** أثر القوه البحريةِ على التاريخ ١٦٦٠ – ١٧٨٣ .**

*** تأثير القوه البحريةِ في الثورة والإمبراطوريةِ الفرنسيةِ ١٧٩٣ – ١٨١٢.**

*** القوه البحريةِ في علاقتها مع الحرب.**

*** اهتمام اميركا بالقوة البحرية في الحاضر والمستقبل. (المترجمة)**

[٢٨] أي أسطول من السفن الحربية الصغيرة السريعة. (المترجمة)

[٢٩] لم يعد خافيا أن الصين تستعد، منذ مدة ليكون في حوزتها ٧٨ غواصة في العام ٢٠٢٠، بمعنى آخر يكون لديها عدد من الغواصات يعادل ما سيكون لدى الولايات المتحدة الأميركية . يتوقعون أيضاً أن يكون لدى الصين ما يزيد على سبعمائة قطعة بحرية مسلحة مزودة بالصواريخ وأحدث أجهزة الاتصالات والتوجيه، وهي الآن تقيم مرافئ في بلاد عدة أهمها باكستان وبنغلاديش

وزير البحرية الأميركية السابق ورونالد اوروك من (The Congressional Research Service) يمكن للصين ان تُنزل الى ميدان القتال قوة تهاجم بغواصة اكبر من القوة البحرية الاميركية التي لديها ٧٥ غواصة جاهزة للخدمة الفعلية، في غضون خمسة عشر عاماً . فضلاً عن ذلك، تخطط البحرية الصينية، كما يقول كروسبي، لاستخدام رادارات فوق الأفق، وأقمار صناعية وشبكات سونار في قاع البحر في خدمة الصواريخ البالستية المضادة للسفن . لعل هذا، مع أسطول الغواصات الآخذ بالازدهار، مصمم في النهاية ليحرم البحرية الأميركية من الوصول السهل الى أجزاءٍ مهمة من غرب المحيط الهادئ (الباسيفيك).

وكجزءٍ من مسعاها للسي طرة على المياه البعيدة عن الشواطئ في مضيق تايوان وبحر الصين الشرقي، تعكف الصين الآن على تطوير قدرتها القتالية بالالغام. كما تشتري الجيل الرابع من المقاتلات النفاذة من روسيا، وتنشر حوالي ١٥٠٠ صاروخ ارض جو على امتداد ساحلها . فضلاً عن ذلك، وحتى عندما تضع الصين انظمة الالياف البصرية تحت الارض وتحرك قدراته الدفاعية عميقاً في غرب الصين بعيداً عن مديات الصواريخ البحرية للاعداء المحتملين، يطور الصينيون الآن استراتيجية هجومية لضرب حاملات الطائرات؛ ايقونة القوة الاميركية.

ومن نافلة القول، ان الصين ليست بصدد مها جمة أية حاملة أميركية في أي وقتٍ قريباً . وما يزال الطريق طويلاً امام تحدي الولايات المتحدة تحدياً مباشراً على الصعيد العسكري . إلا أن هدفها هو تطوير مثل هذه القدرات على امتداد ساحلها لتثني البحرية الأميركية من الدخول بين سلسلة الجزر الأولى والساحل الصيني متما وأينما أرادت ذلك . وطالما ان القدرة على رسم سلوك العدو هو جوهر القوة، فان هذا دليل على ان صين أعظم تتحقق الآن بحراً وبراً.

الطريق الى تايوان

ان الأمر الأهم لمجيء صين أعظم هو مستقبل تايوان . إذ غالباً ما تُناقش مسألة تايوان بعبارات أخلاقية : تتحدث بكين عن الحاجة لتعزيز الإدراك القومي وتوحيد الصين لصالح جميع الاثنيات الصينية؛ وتتحدث واشنطن عن المحافظة على هذا النموذج الديمقراطي . بيد ان جوهر القضية شيء آخر. ومثلما قال الجنرال الأميركي دوغلاس ماك آرثر فان تايوان هي "حاملة طائرات غير قابلة للغرق" وسط الساحل الصيني. ومن هناك، يقول المحللان الاستراتيجيا ن البحريان هولمز

وسيريلانكا تقول عنها بكين إنها محطات تموين لأسطولها التجاري ومخازن لبضائعها المتوجهة إلى الشرق الأوسط وما وراءه. (المترجمة نقلا" عن مقال لجميل مطر نشرته صحيفة السفيرعلى الانترنت)

وهوشيهارا، تستطيع قوة خارجية مثل الولايات المتحدة ان " تشع" قوة على امتداد المحيط الساحلي للصين. واذا ما عادت تايوان الى حضن الصين، فان البحرية الصينية لن تكون في موقع استراتيجي مؤاتٍ في مواجهة سلسلة الجزر الأولى فحسب بل وستكون حرة في ان تستعرض قوتها الى ما وراء الصين لم يسبق لها مثيل. وتطرح الآن صفة "متعدد الأقطاب" بحريةٍ لتصف النظام العالمي الجديد. وان التحام تايوان بأرض الصين وحده قادر على تأشير الظهور الحقيقي لنظام عسكري متعدد الأقطاب في شرق آسيا.

ووفقاً لدراسة اعدتها مؤسسة راند (RAND) في العام ٢٠٠٩، فانه بحلول العام ٢٠٢٠ سوف لن تغدو الولايات المتحدة قادرة على حماية تايوان من أي هجوم صيني . إذ بحلول ذلك العام سيكون الصينيون قادرين، كما يجادل التقرير، على هزيمة الولايات المتحدة في حربٍ تقع في مضيق تايوان حتى وان كان للولايات المتحدة طائرات أف ٢٢ ومجموعتان من الحاملات المهاجمة، ووصول مستمر الى قاعدة كادينا [٣٠](Kadena) الجوية في اوكيناوا، اليابان . ويؤكد التقرير على المعركة الجوية. إذ قد يكون على الصينيين إنزال عشرات الآلاف من القوات عبر البحر، وقد يكونوا عرضة للغواصات الأميركية . مع ذلك، يلقي التقرير، مع كل تحذيراته، الضوء على تيار مُقلق . فالصين تبعد عن تايوان بمئة ميل تقريباً، بينما يتحتم على الولايات المتحدة، لكي تستعرض قوتها العسكرية، ان تقطع نصف الكرة الأرضية لأجل ذلك، مع وصولٍ أكثر تحديداً عما كانت عليه أيام الحرب الباردة . وبغية ان تحرم إستراتيجية الصين البحرية الأميركية من دخول مياه معينة، فانها ليست مصممة لإبقاء القوات الأميركية بعيدة عموماً فحسب بل، وعلى وجه خاص، لتعزيز هيمنتها على تايوان.

لا جرم في القول ان بكين تستعد الآن لتطويق تايوان ليس عسكرياً فحسب ب ل واقتصادياً واجتماعياً أيضاً . إذ يذهب حوالي ٣٠% من صادرات تايوان إلى الصين . وثمة ٢٧٠ رحلة جوية تجارية أسبوعياً بين تايوان والأرض الأم . ويقوم ثلثي الشركات التايوانية باستثماراتٍ في الصين في السنوات الخمس الأخيرة . كما ينتقل حوالي نصف مليون سائح من الأرض الأ م (الصين) الى الجزيرة سنوياً. ويقيم ٧٥٠،٠٠٠ تايواني في الصين على مدى نصف العام تقريباً. ويبدو ان التكامل الآخذ بالازدياد مطروح على بساط الأرجحية . ولكن الكيفية التي يتم بها ذلك تكون غير أكيدة . وسيكون التكامل بالغ الأهمية لسياسة القوة العظمى في المنطقة. فإذا ما تخلت الولايات المتحدة عن

---

[٣٠] **قاعدة كادينا الجوية اهم قاعدة عسكرية أميركية في منطقة آسيا – المحيط الهادئ. تقع في جزيرة اوكيناوا جنوب اليابان . (المترجمة)**

تايوان لصالح بكين، حينها ستتزعزع ثقة اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين واستراليا وحلفاء الولايات المتحدة الآخرين بقوة التزامات واشنطن، وسيشجع ذلك هذه الدول على التقرب أكثر الى الصين ومن ثمَّ يسمح بظهور "صين أعظم" تبسط هيمنتها على نصف الكرة الارضية.

وهذا أحد الاسباب التي تحتم على واشنطن وتابيي ان تضعا في حسبانهما طرق لا متماثلة لاحتواء الصين عسكرياً. فلا ينبغي ان يكون الهدف إلحاق الهزيمة بالصين في حربٍ يجري إوارها في مضيق تايوان. ولكن في جعل ان يبدو احتمال الحرب مكلفاً لبكين على نحو محظور. من ثّم على واشنطن ان تحتفظ بمصداقيتها مع حلفائها من خلال إبقاء تايوان مستقلة حتى تصبح الصين مجتمعاً أكثر ليبرالية. ومن ثمَّ، يكون اعلان إدارة اوباما في اوائل العام ٢٠١٠ بانها ستبيع اسلحة الى تايوان بقيمة ٦،٤ مليار دولار امراً حيوياً لمكانة الولا يات المتحدة في مواجهة الصين وفي اورآسيا ككل. وان هدف تحول الصين محلياً ليس أملاً كاذباً: إذ يرى ملايين السياح الصينيون الذين يسافرون الى تايوان برامجها الحوارية السياسية الشجاعة والعناوين المُهدَّمة في متاجر الكتب . مع ذلك، وعلى نحو بديهي مضاد الى حد ما، ف ان صين ديمقراطية يمكن ان تكون قوة عظمى ديناميكية أكثر مما لو كانت صين قمعية، في اتجاه اقتصادي ومن ثمَّ اتجاه عسكري ايضاً.

وزيادة على تركيز قواها على تايوان، تستعرض البحرية الصينية قوة اكثر في بحر الصين الجنوبي، بوابة الصين الى المحيط الهندي والى طريق النق ل الغني بالطاقة على مستوى العالم . وتكون القرصنة، والإسلام الراديكالي، وصعود بحرية الهند تحديات كامنة على طول الطريق، بضمنها تلك الواقعة على الطرق الضيقة التي يجب ان تمر بها نسبة واسعة من ناقلات النفط الصينية وسفن التجار. وفيما يتعلق بالأهمية الإستراتيجية ع موماً، قد يصبح بحر الصين الجنوبي، مثلما قال البعض، "خليجاً فارسياً ثانياً ". ولاحظ نيكولاس سبيكمان، عالم الجيوبوليتكس في القرن العشرين انه عبر التاريخ، انشغلت الدول "بتوسع محيطي وممتد عبر البحار " لتحكم قبضتها على البحار المجاورة. إذ سعت اليونان للسيطرة على بحر ايجه، وروما على البحر الأبيض المتوسط، والولايات المتحدة على البحر الكاريبي .. والآن تسعى الصين للسيطرة على بحر الصين الجنوبي . وسمى سبيكمان الكاريبي بـ "البحر الأبيض المتوسط الآسيوي " وقلب الجغرافية السياسية في العقد القادم.

على أية حال، ثمة تناقض في جوهر الجهود الصينية لاستعراض القوة البحرية في البحر الأبيض الآسيوي وما وراء هـ فمن جانب، يبدو ان الصين عاقدة العزم على حرمان الناقلات الأميركية من الوصول السهل الى بحارها الساحلية . ومن جانب اخر، ما تزال الصين غير قادرة

على حماية خطوط اتصالاتها في البحر الأمر الذي يجعل من أي هجوم على أية سفينة حربية أميركية غير ذي جدوى، طالما ان البحرية الأميركية تستطيع ببساطة قطع إمدادات الطاقة الصينية من خلال تدمير السفن الصينية في المحيطين الهادئ (الباسيفيك) والهندي. فلماذا القلق والضيق في السعي لمنع الوصول اذا كنت لا تنوي فـرض ذلك بالقوة. فوفقاً لمستشارة الدفاع الأميركية جاكلين نيوميار تهدف الصين لإرساء قواعد "ترتيب للقوة مرضٍ " بحيث "سوف لن يتوجب عليها فعلياً استخدام القوة لتأمين مصالحها." ولا ريب في أنظمة خزانات عرض الأسلحة الجديدة، وبناء منشآت مرفئية، ومواقع تنصت في المحيطي ن الهادئ والهندي، وتقديم المساعدة العسكرية للدول الساحلّية التي تقع بين الأراضي الصينية والمحيط الهندي... لا يخفى ايٌّ من هذه التحركات على احد؛ يكون جميعها استعراضاً للقوة مقصود . وبدلاً من محاربة الولايات المتحدة بِرُمّتِها، يسعى الصينيون الى التأثير في السلوك الأميركي على وجه الدقة لكي يتجنبوا أية مواجهة.

مع ذلك، يبدو في ان يكون هنالك حافة جارحة لبعض نشاطات البحرية الصينية . إذ تبني الصين الآن قاعدة بحرية كبيرة على الرأس الجنوبي لجزيرة هاينان [٣١] مباشرة في قلب بحر الصين الجنوبي مع منشآت تحت الأرض تتسع لعشرين غواصة نووية وديزلية – الكترونية. وهذا ممارسة لمبدأ مونرو – أسلوب في السيادة على المياه الدولية القريبة . ربما لا يكون للصين نية في خوض إوار حربٍ مع الولايات المتحدة اليوم او في المستقبل، ولكن الدوافع قد تتغير . فمن الأفضل اقتفاء اثر القدرات بدلاً عن ذلك.

لا فصال في ان الوضع الأمني الحالي على حافات اوراسيا يكون أكثر تعقيداً مما كان عليه في السنوات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية . فطالما تنحسر الهيمنة الأميركية ويتضاءل حجم بحريتها أو تبلغ مرحلة من مراحل الاستقرار، في وقتٍ ينمو فيه اقتصاد الصين وجيشها؛ فان التعددية القطبية ستُعرّف على نحو متزايد علاقات القوة في آسيا . إذ تزود الولايات المتحدة تايوان بـ ١١٤ من صواريخ باتريوت للدفاع الجوي وعشرات من أنظمة الاتصالات العسكرية المتطورة . في حين تبني الصين أحواض لإصلاح الغواصات في جزيرة هاينان وتطور صواريخ مضادة للسفن. في حين تستمر اليابان وكوريا الجنوبية بتحديث أسطولهما . وتبني الهند بحرية قوية . لا جدل في ان تسعى كلٌ من هذه الدول لتعديل توازن القوى لصالحها.

[٣١] **تقع جزيرة هاينان على الساحل الجنوبي لجمهورية الصين الشعبية. نظراً لحجمها الصغير ، تعد هاينان أصغر المقاطعات في جمهورية الصين الشعبية. (المترجمة)**

وهذا يعلل لماذا يكون مخادعاً او مُضللاً رفض وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون لسياسات توازن القوى بوصفها تذكار من الماضي. فثمة سباق للتسلح يجري في آسيا وانه سيكون على الولايات المتحدة مواجهة هذه الحقيقة حينما تقلص قواتها جوهرياً في أفغانستان والعراق . وعلى الرغم من عدم امتلاك أية دولة أسيوية الباعث لخوض إوار حرب، فان خطر سوء الحسابات بشأن توازن القوى سيزداد مع الوقت، ومع بناء قوات برية وجوية في المنطقة (عن طريق الصين والهند فحسب). وتعزز التوترات على البر من التوترات في البحر : ففراغات القوة التي تملئها الصين الآن ستضعها في احتكاك غير سهل مع الهند وروسيا، في الحد الأدنى . وعلى الفور، تصبح المساحات الفارغة مزدحمة با لناس والطرقات وخطوط الأنابيب والسفن ... والصواريخ. وحذر العالم السياسي في جامعة يل بول براكين في العام ١٩٩٩ بان آسيا كانت تغدو جغرافية مغلقة وانها تواجه أزمة "حَيّز". واستمرت العملية منذ ذلك الحين.

عليه، هل يمكن للولايات المتحدة ان تعمل على المحافظة على ا لاستقرار في آسيا، وتحمي حلفائها هنالك وتحد من ظهور صين أعظم في وقت تتفادى فيه نزاعاً مع بكين؟ ان توازناً بعيداً عن الشواطئ ربما لا يكون كافياً. وكما أخبرني[٣٢] مسؤول هندي رفيع المستوى سابق أوائل هذا العام (٢٠١٠) فان الحلفاء الرئيسين للولايات المتحدة في آسيا (مثل الهند واليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية) يريدون من البحرية والقوة الجوية الأميركيتين العمل بـ "انسجام" مع قواتها .. وبذلك ستكون الولايات المتحدة جزءً مكملاً في المشهد البري والمشهد البحري لآسيا، وليس مجرد قوة متوارية في الأفق البعيد . وهنالك اختلاف كبير بين المساومة مع الولايات المتحدة على حقوق أساسية، مثلما فعلت اليابان مؤخراً، والمطالبة بانسحابٍ كاملٍ للقوات الأميركية.

وثمة خطة واحدة كانت تجعل المراقبين في البنتاغون يجادلون بان الولايات المتحدة "تقاوم القوة الإستراتيجية الصينية ... دون مواجهة عسكرية مبا شرة" مع أسطول أميركي ذي ٢٥٠ سفينة فقط (إذ انخفضت من ٢٨٠ سفينة)، وتقليل في الإنفاق على الدفاع بلغ ١٥%. تكون هذه الخطة التي وضعها القائد البحري الأميركي المتقاعد بات غاريت مهمة لأنها تُدخِل في المعادلة الاوراسية، الأهمية الإستراتيجية لاقيانوسيا . إذ ان جزر غوام وكارولين ومارشال وماريانا الشمالية وسولومون أراضٍ تابعة للولايات المتحدة الأميركية، وكومنولثات لها اتفاقيات دفاعية مع الولايات المتحدة، او دول مستقلة تكون غير متحفظة على مثل هذه الاتفاقيات . ولا تثريب في ان اوقيانوسيا ستكبر في الأهمية لأنها قريبة نسبياً من شرق آسيا وخارج المنطقة التي تكون فيها الصين متلهفة لحرمان

[٣٢] أ ي ان المسؤول الهندي السابق اخبر روبرت د.كابلان كاتب المقال. (المترجمة)

السفن الأميركية من الوصول السهل. تجدر الإشارة الى ان جزيرة غوام تبعد أربع ساعات طيران عن كوريا الشمالية، ويومين إبحار عن تايوان. وعليه، ربما يكون الحافز لدى الولايات المتحدة الاحتفاظ بقواعد في او قيانوسيا في المستقبل اقل من الذي كان لديها للاحتفاظ بقوات في اليابان وكوريا الجنوبية والفلبين.

ان قاعدة اندرسون الجوية في غوام هي المنصة الأكثر تحكماً وقيادة. تبسط منها الولايات المتحدة قوة صلبة الى أي مكان . ومع وجود ١٠٠،٠٠٠ قنبلة وصاروخ وخزين ٦٦ مليون غالون من الوقود النفاذ، فان القاعدة تكون منشأة "التزود بالوقود والانطلاق " الإستراتيجية التابعة للقوة الجوية الأميركية الأكبر في العالم . كما ان غوام هي الموطن لأسطول الغواصات الأميركية، وانها تتوسع بصفة قاعدة بحرية. وتكون جزيرة غوام مع جزر ماريانا الشمالية القريبة متساوية البعد، في الأغلب الأعم، عن اليابان ومضيق ملقة . وان الرأس الجنوبي الغربي لاقيانوسيا أي المرافئ البعيدة عن الشاطئ لجزر اشمور[٣٣] العائدة ملكيتها لاستراليا والسواحل القريبة من غرب استراليا نفسها (من داروين الى بيرث) تطل من أسفل الأرخبيل الاندونيسي باتجاه المحيط الهندي . ومن ثمَّ، وبموجب خطة غاريت، فان البحرية والقوة الجوية الأميركيتين قد تفيدان من جغرافية اقيانوسيا لتشكيل "جود إقليمي قائم بذاته" يقع "فوق الأفق مباشرة" من الحدود غير الرسمية لصين أعظم وممرات الشحن بالسفن الرئيسة في اوراسيا . (تردد عبارة "وجود إقليمي قائم بذاته " صدى عبارة المؤرخ البحري البريطاني السير جوليان كوربت "أسطول قائم بذاته" قبل مئة عام خلت . أشارت العبارة الى تجمع مشتت من السفن يستطيع ان يندمج سريعاً في أسطول موحد متما كان ضرورياً . وتعكس عبارة "فوق الأفق مباشرة" التقاء التوازن البعيد عن الشواطئ والمشاركة في تناغم القوى.)

لا مراء في ان تعزيز الوجود البري والبحري الاميركي في اوقيانوسيا يكون منهجاً وسطاً بين مقاومة صين اعظم والموافقة على مستقبل تكون فيه البحرية الصينية هي منْ يحمي سلسلة الجزر الاولى. يضمن هذا المنهج ان تدفع الصين ثمناً باهضاً لأي عدوان عسكري ضد تايوان. كما يسمح للولايات المتحدة ان تخفض ما يطلق عليه القواعد الارث في سلسلة الجزر الاولى. ولكن، مع ذلك يسمح للسفن والطائرات الاميركية استمرار القيام بدوريات في المنطقة.

---

[٣٣] يقع اقليم جزر أشمور كارتير في المحيط الهندي على بعد ٣٢٠ كم من الساحل الشمالي الغرب ي لاستراليا و ١٧٠ كيلومترا إلى الجنوب من جزيرة Roti (اندونيسيا). و تبلغ مجموع مساحتها خمسة كيلومترات مربعة و ٧٤.١ كيلومتر من الساحل . (المترجمة)

يصور مشروع غاريت ايضاً توسعاً دراماتيكياً للرشاط البحري الاميركي في المحيط الهندي. ولا يصور توسيعاً للقواعد الاميركية الموجودة . بيد انه يتوقع الاعتماد على المنشأت الهيكلية في جزر اندامان وكوموروس (جزر القمر)[٣٤] ومالديف وموريسيوس وريونيون وسيشيليس (بعض هذه الجزر تديرها فرنسا والهند بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) كذلك التأكيد على الاتفاقيات الدفاعية مع بروني وماليزيا وسنغافورة. يضمن هذا ملاحة حرة وتدفقاً للطاقة عبر اوراسيا لا يُعترض سبيلها .ومن خلال تقليل التأكيد على أهمية القواعد الاميركية الموجودة في اليابان وكوريا الجنوبية، والتنويع في تواجد الولايات المتحدة حول اوقيانوسيا، قد يتخلص المشروع من القواعد "الرئيسة" سهلة الاستهداف.

وأخذت مواصلة تقدم الولايات المتحدة في سلسلة الجزر الاولى في الزوال بأي حالٍ من الاحوال. إذ اصبح السكان المحليون أقل تقبلاً لوجود القوات الاجنبية في وسطهم . ويجعل ظهور الصين من بكين مرعبة ومغرية في الوقت نفسه.. تعقد هذه المشاعر المختلطة من علاقات الولايات المتحدة الثنائية مع حلفائها في المحيط الهادئ (الباسيفيك). والامر يتعلق بالوقت، إذ ان الازمة الحالية في العلاقات الاميركية – اليابانية.. التي ظهرت بسبب ان حكومة هاتوياما التي ليس لديه ا خبرة تريد ان تُعيد كتابة قوانين العلاقات الثنائية لصالحها حتى وهي تتكلم عن تطوير أعمق مع الصين.. كان ينبغي ان تظهر قبل سنوات . وتكون المكانة الأعلى، على نحو استثنائي، للولايات المتحدة في المحيط الهادئ (الباسيفيك) ميراثاً مهملاً من الحرب العالمية الثانية، و وظيفة تخريب عانت منها الصين واليابان والفلبين خلال النزاع. كما لا يمكن ان يستمر، الى الأبد، وجود الولايات المتحدة على شبه الجزيرة الكورية، وهو نتيجة ثانوية لحربٍ انتهت منذ أكثر من نصف قرن.

ربما تظهر الآن صين أعظم سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً في اسيا ال وسطى والمحيط الهندي وجنوب شرق اسيا وغرب الباسيفيك . ولكن وراء هذا العالم الجديد سيكون هنالك سيل من السفن الحربية الاميركية. يتخذ الكثير منها مقرات له في اوقيانوسيا وقد تشترك مع قوات بحرية من الهند واليابان وديمقراطيات اخرى. وعلى مر الوقت، وطالما تزداد ثقة الصين بنفسها فان قوة المياه الزرقاء يمكن ان تطور منهجاً اقليمياً[٣٥] اقل وتُجَر هي نفسها الى تحالف بحري اقليمي واسع.

---

[٣٤] كوموروس (جزر القمر):هو أرخبيل من الجزر ذات الأصل البركاني ، يقع في شمال قناة موزمبيق، بين شمال غرب جزيرة مدغشقر وشمال شرق موزمبيق. وتنقسم – من الناحية الإدارية – إلى ثلاث جزر وأربع مجالس بلديات . يشتق اسم البلاد (كوموروس) من الكلمة العربية(القمر). استولى عليها الفرنسيون في القرن التاسع عشر، وضمت إلى الإمبراطورية الفرنسية ، ولكنها أعلنت استقلالها من جانب واحد ، في ٦ تموز/ يوليو ١٩٧٥. (المترجمة)

[٣٥] أي توسعياً. (المترجمة)

في تلك الاثناء، من الجدير بالملاحظة، مثلما أشار العالم السياسي، روبرت روس في العام ١٩٩٩ بمصطلحات عسكرية الى ان العلاقة بين الولايات المتحدة و الصين ستكون أكثر استقراراً من العلاقة التي كانت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . يعزى هذا الى الجغرافية الخاصة لشرق اسيا. فخلال الحرب الباردة، كانت القوة البحرية الاميركية لوحدها غيركافية لاحتواء الاتحاد السوفيتي؛ إذ ان قوة برية مهمة في اوروبا كانت مطلوبة حول حافة اوراسيا لانه حتى لو تضاءل الوجود البري للولايات المتحدة حول حدود صين أعظم، فان البحرية الاميركية ستستمر في ان تكون اقوى من البحرية الصينية.

وحتى الآن، ستفاقم الحقيقة المجردة عن قوة الصين الاقتصادية والعسكرية الصاعدة من توتر العلاقات الاميركية الصينية في السنوات المقبلة . ولإعادة صياغة مقولة ميرشايمر فان هيمنة الولايات المتحدة على نصف الكرة الارضية الغربي ستحاول منع الصين من ان تصبح المهيمن على الكثير في نصف الكرة الارضية الشرقي. ولعل هذه الدراما تكون هي الابرز في عصرنا.